مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 25 العدد:3 السّنة: الثّلاثي الثّالث 2023 ص: 419-439

زيارة الشّيخ محمّد عبده لمدينة الجزائر صائفة 1903م وتداعيَّاتها

The visit of the Egyptian Sheikh Mohamed Abdou to the city of Algiers, the summer of 1903 AD and its repercussions.

أ. سليم أوفة*

تاريخ الاستلام: 2021-01-04 تاريخ القبـول: 2022-03-02

ملخّص: تتناول هذه الورقة البحثيّة تفاصيل زيارة "محمّد عبده" لمدينة الجزائر 1903م ونتائجها في خضَّم بروز سياسة أهليّة فرنسيّة جديدة وما نتج عنها من ظهور حراك ثقافي باكورة القرن العشرين، وتطرّقت إلى خلفيّات ودواعي هذه الرّحلة وطبيعة النّشاطات الفكريّة التي تخلّلتها وسط الرّقابة الشّديدة من الإدارة الاستعماريّة ثم تبيان صداها وتداعياتها على النّخبة والجماهير العاصميّة في إرساء الحزب العبدوي وأتباع الجامعة الاسلاميّة بالجزائر؛ والذي قاده كل من: "ابن سماية"، "ابن الخوجة"، "راسم"، "بن قدور"...

كما شهدت المدينة في أعقابها ميلاد الحركة الصّحفيّة، والجمعويّة، وإحياء التّراث التّاريخي، وإعادة أواصر التّواصل بين الجزائر والعالم الإسلاميّ.

كلمات مفتاحيّة: مدينة الجزائر؛ محمّد عبده؛ الجامعة الإسلاميّة؛ الحراك النّهضويّ؛ التّواصل الثّقافي.

Abstract: This paper the details of the historical visit "Mohamed Abdou» to the city of Algiers in the 1903 AD and its effects in the midst of a new French, in addition to the resulting crystallization of the cultural movement that swept the Algerian capital at the beginning of the twentieth century. The study dealt with the background and circumstances of this trip, the nature of the intellectual activities that it was exposed to amid the intensive supervision of the colonial

* - جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر.
البريد الإلكتروني:salim.ouffa@univ-dbkm.dz (المؤلّف المرسل).

administration, then showed its resonance and consequences for the elite and the metropolitan masses, by resurrecting the reform movement in them, and establishing the pillars of the Abadawi party and the followers of the Islamic University of Algeria

Moreover, the Algerian capital witnessed the birth of the Journalistic and association

Keywords: City of Algiers، Mohamed Abdou ،Islamic University ، Renaissance Movement.

1. مقدّمة: إنّ الجزائر وبحكم موقعها الجغرافي كان منتظرا لها أن تكون مواكبة لحضارات أقدم العصور، وأبعد الأزمنة، ومجالا واسعاً لتيَّارات فكريّة خصبة فكان أهل المغرب يمرّون عليها حين ذهابهم إلى المشرق أو الحجّ، والعكس بالنّسبة للمشارقة في رحلاتهم غرباً، كما أنَّ هؤلاء لم يكونوا بمعزل عن الأحداث في بلاد المغرب، وهو ما جسَّدته زيارات شيخ الأزهر "محمّد عبده" إلى الجزائر وتونس صائفة 1903م، والتي أخرجت البلدين من العزلة التي فرضها عليهما الاستعمار، وشجَّعتهم على صيَّانة تراثهم الإسلامي، لذلك تخطى اسمه وتعاليمه الحدود الجغرافيّة والنّفسيّة أكثر من غيره، واعتبر المعلِّم الرّوحي لجيله في المشرق، بل أنَّ المغرب العربي كان قلعة أيضًا تتفاعل فيها أفكار هذا المصلح العظيم.

الظّاهر أنَّ زيارته للجزائر قد حظيت بأهميّة خاصّة من منطلق أنَّه كان يمثل أكبر شخصيّة دينيّة في العالم الإسلامي بعد وفاة "الأفغاني" 1897م، وكان يتمتَّع بسمعة طيبة في الأوساط الإسلاميّة نظراً لما امتاز به من رجاحة الفكر، وجرأة الاجتهاد، وبُعد النّظر في الدّعوة والإصلاح، فقد ارتبط اسمه بحركة الجامعة الإسلاميّة، أمّا عن أبرز التّساؤلات التي ستجيب عليها هذه الدّراسة هي: ما هي ظروف ودوافع هذه الزّيارة؟ كيف تمَّت، وماذا حقَّقت؟ لماذا سمحت فرنسا بها؟ وما هي الشّخصيّات التي قابلها "محمّد عبده" في مدينة الجزائر؟ وكيف تفاعلت معه؟ وهل كانت زيارة كباقي الزّيّارات، أم أنّها كانت مفصليّة؟ وإلى أي مدى أسهمت في بلورة الاتجاه نحو الجامعة الإسلاميّة؟ وفي تفعيل الحراك الثّقافي النّهضوي بعاصمة الجزائر؟

2.علاقة الشّيخ عبده بالبلاد المغاربيّة...الزّيارة المبكرة لتونس 1884م-1885م: إذا عدنا للحديث عن علاقة الشّيخ "محمّد عبده"[1] بالبلاد المغاربيّة نذكر ما أورده "عبد العزيز الثّعالبي" الذي صرح بأنَّ "عبده" عقب الثّورة العُرابيّة (1881-1882م) قد زار تونس -حديثة العهد بالحماية الفرنسيّة-وكان أنداك شاباً ثائراً، فحطَّ بها الرّحال في الفترة ما بين (1884/12/06م–1885/01/04م) حيث قصدها للاطلاع على إصلاحات الوزير "خير الدّين التّونسي"، ولتشجيع العلماء والقادة على مواصلتها[2]، فالتّقى برواد الإصلاح المتأثرين بفكر الجامعة الإسلاميّة أمثال "محمّد بيرم الخامس"، و"محمّد السّنوسي"، و"سالم بوحاجب"، وشرح لهم أهداف ومبادئ "العروة الوثقى"، فأقبل عليها أقطاب الإصلاح، وراسل "الأفغاني" من أجل تأسيس فرع لـ "الجمعيّة السّياسيّة العروة الوثقى"، ودعا التّونسيين لتفعيلها، واستطاع جمع مقدار عشرين ألف فرنك من التّبرعات لها[3]. ويذكر الكثيرون بأنَّ "عبده" استنبط توجهه الفكري من زيارته لتونس بعد سلسلة من المحادثات مع الزّيتونيين المتفتّحين، ولعلَّ المتتبّع لمنهج "الثّعالبي"، يجده على نفس الخط مع الشّيخ الأزهري، وهذا إن دلَّ على شيء إنّمَا يدُلُّ على أنّ بدايات الحركة الإصلاحيّة التّونسيّة مدينة لزيارته، والتي تُعَّد ركيزة أساسيّة في مسارها ومنهجها[4].

ومن المؤكّد أنَّ سفريته المبكرة لتونس 1885م قد أعطت له فكرة عن جارتها الجزائر، فمهَّدت له زيارتها لاحقاً، ومن دون شكّ أنَّ الشّيخ المصري قد سمع شيئاً ولو يسيراً عن أحوالها بعد نصف قرن من نَيْرِ احتلالها، وليس بالغريب أن يلتقيَ بعدد من الطّلبة الجزائريّين الدّارسين في الزّيتونة أنذاك، ويذكر "سعد الله" أنَّ "عبده" بعد حلوله ببيروت ودمشق في عقد الثّمانينات من القرن التّاسع عشر، ربط الصّلة بـ "الأمير عبد القادر"، وبإبنيه "محمّد" و"محي الدّين"، والجاليّة الجزائريّة هناك، ويبدو أنَّه تحادث معهم عن شؤون بلادهم وعن الجامعة الإسلاميّة، وقيل أنَّ "الأمير" كان عضواً في جمعيتها السّريّة، وتدلُّ المراسلات على العلاقات الخاصّة بينهما، وهنا يذكر "رشيد رضا" الذي أرَّخ لـ"عبده" أنّ هذا الأخير قد كتب عدداً من الرّسائل إلى "الأمير"، تمحورت حول التّجديد الاسلامي، وعلى إثر وفاة "عبد القادر" 1883م بعث الشّيخ الأزهري رسالة تعزيّة لولديه حملت كلمات مؤثّرة وموحيّة منها: "وليس من كلمة أجمع من كلماته، ولا قول أوفى بفضائله سوى أنّه منتهي وصف الواصفين، وغاية مدح المادحين"[5].

لا جرم أنَّه بعد وفاة "الأفغاني" 1897م، خلفه رفيقه وتلميذه "عبده" في نشر أفكار الجامعة الإسلاميّة مشرقاً ومغرباً، وتزامن ذلك مع ترقيته كمفتي للدِّيار المصريّة 1899م، فوجد نفسه وحيداً يحمل عبئاً ثقيلاً لمواصلة الإصلاح، وقد ظهرت لديه رغبة في توسيع مهامِّه لأبعد من بلاده لتشمل الجزائر وتونس[6]، وعطفاً على ذلك قام بزيارة تاريخيّة إليهما صائفة 1903م.

3. ظروف ودوافع زيارة عبده للجزائر مطلع القرن العشرين...مبادرة فرديّة منه أم بإيعاز فرنسي؟ حسبنا في هذا المجال أن نتساءل هل كان بالعاصمة الجزائريّة أثناء تلك المرحلة مناخ تصاب به المعرفة ويتأثَّر بالوقائع الطّارئة ويستجيب للمنبِّهات المتحرّكة، وللإيعازات العابرة، خاصّة وأنَّ زيارته هذه تُعَّد أوّل رحلة تقوم بها شخصيّة دينيّة مشرقيّة معروفة إلى الجزائر لغاية فكريّة إصلاحيّة، فالجزائريّون كانوا معجبين به أشدَّ الإعجاب كما كانوا يتابعون باهتمام كبير لما كان ينشر له في "العروة الوثقى".

وممّا يجدر ذكره أنّ ظروف هذه السّفريّة قد تهيأت له بداية بمقال نشرته "المنار" تحت عنوان: (فرنسا والجزائر) بتاريخ 4 أفريل 1903م؛ نصحت فيه المجلّة إدارة الاحتلال الفرنسي بضرورة اللين والمعاملة الحسنى، وبالاسترخاء السّياسي والثّقافي اتجاه الأهالي[7]، كما نوَّهت بزيارة الرّئيس الفرنسي "لوبي" إلى الجزائر في تلك السّنة والمعروف أنَّ تلك المجلّة كانت معتدلة في معالجة العلاقة بين المستعمِر والأرض المستعمَرة[8]، ويبدو لنا أنَّ نشر هذا المقال قبل أشهر من زيارة "عبده" للجزائر هو إسترضاء لحكومة باريس. ولعلّه يليق بنا المقام هنَّا أن نشير أنَّ صاحب تلك المجلّة "رشيد رضا" استعمل عبارة غامضة حينما نسب مبادرة السّفريّة إلى أستاذه "عبده" والذي يبدو أنَّ قلبه كان معلَّقاً بالجزائر[9]، وأضاف بأنَّه أخبره بنيته التّرحال لشمال افريقيا من أوروبا قبل عودته لبلاده، وذلك ليقف بنفسه على أوضاع المسلمين هناك ويتتبع آثار علمائهم مع دعوتهم لمسايرة النّهضة العربيّة، وهو ما عبَّر عليه بقوله: "كان الإمام الأستاذ-رحمه الله-قد أخبرنا عند السّفر إلى أوروبا في صيف 1321هـ/1903م، أنّه ينوي السّفر منها إلى تونس والجزائر ليقف بنفسه على أحوال المسلمين فيهما، وآثار الإسلام فيهما.."، وأضاف: "كتمت عزم شيخنا على زيارة تونس والجزائر لِئلا يبادر الأشرار إلى بث الدّسائس لمنع فرنسا إياه من دخول البلاد وللحيلولة دون ما يريدون منها بعد دخولها"[10]، وهو نفس ما ذهبت إليه جريدة (لوفيقارو الفرنسيّة) التي كتبت تغطيّة قصيرة عن زيارته[11]، وتعد هذه التّحركات

بمثابة مرحلة جديدة وتحول في المسيرة الإصلاحيّة للإمام المصري، تضاهي نفس المنزلة التي كان يحتلها "الأفغاني" على حد تعبير الباحث "علي مراد"[12].

وفي المقابل اتجهت آراء أخرى للقول بأنّ هذه الوِفادة كانت بإيعاز فرنسي في إطار التّوازنات السّياسيّة مع بريطانيا، وذلك باستقطاب الشّيخ بعيداً عن فلك الإنكليز بعدما طردوه من بلاده، فوجد باريس مستقرًّا آمناً لمنفاه سنوات عديدة، ومنه استجابت باريس لطلبه وأعطته رخصةً للذَّهاب والدّخول إلى مستعمرتها الجزائر[13]، فالمبادرة تبدو أنَّها كانت من عنده، ولقيت تجاوبا من فرنسا للأسباب السّالفة الذّكر. ومساوقة مع الفكرة الأخيرة كانت حكومة باريس تريد من تلك الزّيارة حسب "سعد الله" تحقيق أمرين: الأوّل دولي، والثّاني محلي، فالدّولي فهو خشيتها من تأثيرات الجامعة الإسلاميّة بقيادة "عبد الحميد الثّاني" من جهة، والاستفادة من النّفوذ والثّقل الرّوحي للشيخ في العالم الإسلامي وتوظيفه لصالحها على حساب بريطانيا من جهة أخرى أمّا المكسب المحلي فهو خدمة السّيَّاسة الأهليّة الجديدة التي جاء بها الحاكم العام "جونار" وأطلق عِنانها لتكوين نخبة مرتبطة بالثّقافة الفرنسيّة لتحلَّ محلَّ الصّوفيّة والمرابطيّة، ويبدو أنّ المناخ السّياسي الجديد قد أغدق "عبده" وجعلته يأمُل في الأحسن والأفضل من فرنسا نحو الجزائريّين[14].

4. عشرة أيّام للشيخ عبده في مدينة الجزائر..لقاء الأعلام وزيارة المعالم: إنَّنا لا نتجاوز الحقيقة إذا أدلينا بالقول إنّ هذه الزّيارة كانت شبه سِرّيّة، ومازالتّ جوانبها مجهولة، وقد يعود السّبب في ذلك لاعتماد الباحثين الجزائريّين على "المنار" و(تاريخ الإمام) لـ "محمّد رضا"، واللذين تطرَّقا لزيارته إلى الجزائر وتونس دون الإشارة لقسنطينة، وتعود أوَّل دراسة محليّة اهتمت بالسّفريّة هي بحث "علي مراد" بعنوان (تعاليم محمّد عبده السّياسيّة للجزائر سنة 1903م) باللغة الفرنسيّة، وكانت سنة 1963م، أي بعد 60 سنة بالتّمام على تاريخ هذه الزّيّارة[15]. كما تطرَّق "أجيرون" في كتابه (الجزائريُّون المسلمون وفرنسا) إليها[16]، ويشير "أحمد صاري" إلاّ أنَّ المؤرّخ الفرنسي قد وقع في أخطاء كثيرة حينما ذكر بأنَّ "عبده" زار الجزائر بعد تونس، مع العلم أنَّ العكس هو الذي حدث، حيث توجه الشّيخ من بلاده إلى لندن شهر جويليّة 1903م، ومنها لمرسيليا يوم 12 أوت وصولا إلى الجزائر العاصمة يوم 27 أوت من نفس السّنة، كما ذكر

"أجيرون" أنّه زار قسنطينة فمدينة الجزائر، وهو خطأ آخر ارتكبه في دراسته[17]، وحتى "سعد الله" في (تاريخ الجزائر الثّقافي) وقع في نفس الهفوة[18].

ممَّا لاشك أنَّ "رشيد رضا" عمل جاهداً على محاولة كتمان زِيارة أستاذه إلى الجزائر، لكنَّ يبدو أنَّ الخبر تسرَّب لخصوم الشّيخ، وراسل بعضهم حكومة فرنسا محذِّرين إياها من عواقبها، ومدَّعين أنّه ذاهب لتحريض المسلمين على الثّورة ضدَّ وجودهم، لكن ورغم تلك التّوجُّسات منحت له فرنسا رخصة الدّخول إلى مستعمرتها وليس غريبا أن يتمَّ ذلك بعد تعهده بعدم إثارة الشّغب من جهة، والابتعاد عن الخوض في المسائل السّياسيّة الحسَّاسة من جهة أخرى[19]، كما وضعت له مُرافقا سافر معه عبر الباخرة من ميناء طولون بمرسيليا وهو الصّحفي المحرّر بجريدة المبشر الشّيخ "أبو القاسم الحفناوي" (1850-1942م)، وأحاطته بترسانة من الجواسيس الذين بدأوا يعدّون نبضات قلبه انطلاقا من فرنسا نفسها[20]، وحلَّ بالعاصمة الجزائريّة ظُهر يوم الخميس 27 أوت 1903م، وهنا فارقه "الحفناوي" والذي انتهت مهمته ليتولاها آخرون يعدُّون عليه خطواته وأنفاسه، فيكتبون عنه وعن زوَّاره التّقارير ويقدّمونها للحكومة الفرنسيّة، وهذا يدلُّ على أنَّ فرنسا لم تكن تثق فيه كل الثّقة خوفاً من إحداث القلاقل في مستعمرتها[21].

وبعد حلوله بالعاصمة أقام بفندق الواحة (Hôtel L'Oasis) ثم نزل ضيفاً على منزل "مصطفى بن الأكحل" ببلكور، وشرع في التّجول بأزقة وشوارع المدينة، ولقاء أكابر أعيانها ومثقفيها بداية بالمفتي "ابن زاكور" في مكتبه، ثم توجّه إلى مسجد المسمكة للقاء المفتي "بوقندورة"[22]، وقد اكتشف بها حسب "سعد الله" نقلا عن جريدة "لوتان الفرنسيّة" (Le Temps) وجود حزب إصلاحي من أنصاره والمؤيّدين له، وهو ما أطلق عليه بـ"الحزب العبدوي"، والذي كوَّنته مدرسة "العروة الوثقى" و"المنار" واللتان كانتا تتسرَّبان للقطر الجزائري عبر عدّة معابر رغم سقف الرّقابة الاستعماريّة ومن أبرز وجوه هذا الحزب نجد: الشّيخ "ابن الخوجة"، والأستاذ "ابن سماية" والشّابين: "عمر بن قدور"، و"عمر راسم"[23].

وفي سياق الحديث عن نشاطاته وتحركاته بمدينة الجزائر نشير لصولاته في بعض مساجد العاصمة، والمكتبة الوطنيّة، والمركز الفلكي ببوزريعة أين أخذت للشيخ صور تذكاريّة مع "ابن سماية"، كما قام بزيارة مجاملة لمقر الحكومة العامّة، وفي هذا اليوم

ألغى زيارته لتلمسان بعدما اطَّلع على الوقت الطّويل الذي تستغرقه، كما يبدو أنَّه قد أبدى معارضته لحضور مؤتمر المستشرقين المزمع تنظيمه لاحقا بالجزائر (1905م)[24]. ولا شكّ أنَّ انتشار نبأ تواجده بعاصمة الجزائر قد انتشر بسرعة الهشيم فتهاطل عليه الزّوار والمشايخ من طلائع النّخبة على تباين توجهاتهم: التّقليديّين والحداثيين، وقد قسَّمهم "رشيد بن شنب" في دراسته المنشورة بمجلّة الدّراسات الإسلاميّة والموسومة بـ (زيارة الشّيخ عبده للجزائر 1903م) إلى ثلاثة أصناف: حيث يضم الصّنف الأوّل (جماعة المحافظين) وهم: "السّعيد ابن زكري"، و"المجاوي" و"ابن سماية" ومفتي الحنفيّة "بوقندورة"، و"ابن زاكور" إمام المسجد الكبير، والقائم على ضريح سيدي عبد الرّحمان "ابن الحاج موسى"، وضم الصّنف الثّاني (فئة العصريّين) أمثال: "ابن الخوجة" إمام جامع سفير، والصّحفي "محمود كحول"، و"مصطفى الشّرشالي"، و"عبد الرّزاق الأشرف"، والعلاّمة "ابن شنب، أمّا الصّنف الثّالثّ فجمع (ثُلَّة من المتفرنسين) وضمَّت: "ابن التّهامي"، و"أحمد بن بريهمات"، وأحمد بوضربة" إضافة إلى: "حمدان بوركايب"، و"حمود بوعلام" من الأعيان[25].

وأقيمت على شرفه مأدبة عشاء، وجلسة فكريّة عند مضيفه السّيد "ابن الاكحل" بحي بلكور في الفاتح من سبتمبر 1903م، حضرها جمع غفير (حوالي مائة وخمسون شخصاً) بينهم عدّة وجوه معروفة من وجهاء وأعيان العاصمة، اجتمعوا وجلسوا يسألونه في مسائل دينيّة مختلفة، وقضايا فقهيّة متنوعة تخصُّ العبادات والعادات، ودار نقاش فلسفي حاد بين الشّيخ "عبده" و"أحمد بن بريهمات" المتجنّس والذي تحامل على الاتجاه الإصلاحي، وواصل "عبده" إلقاء دروسه ومواعظه بمساجد العاصمة، والتي لقيت استحساناً وإعجاباً من طرف أعيان وسكان المدينة[26].

وحَّري بنا الإشارة إلى الدّرس الذي ألقاه في جامع "ابن الأكحل" بالحامة، والذي فسَّر فيه (سورة العصر) لمدّة ساعتين من الزّمن، وكان بالإمكان أن يكون ذلك بأحد المساجد الكبرى بالعاصمة كالجامع الجديد، أو الكبير، لكن حسب "سعد الله" تمَّ اختيار ذلك الجامع لبعده عن الأوروبيين، وعن المؤسَّسات الحكوميّة والسّاحات العموميّة، كما أنّه قد يكون مقصوداً من الإدارة الفرنسيّة المشرفة على هذه الزّيارة.. ومع ذلك فقد حضر العشرات من رجال العلم والدّين من شتى أنحاء الجزائر (حضره حوالي مائتي نفر)[27]، وقد فهم البعض من اختيار تفسير (سورة العصر) بأنّه لم يكن اختياراً اعتباطياً لما

تحمله من معاني التّواصي والحذر، والحث على الصّبر والصّلاة والتّعلق بالله لتحقيق الغايات المنشودة، في حين فهم البعض الآخر أنّ اختياره يدل على مهادنته لفرنسا، أو أنّه التّزم بعدم التّدخل في السّياسة[28].

يبدو جليًّا أنَّ "عبده" قد نصحه النّاصحون بعدم التّعرض بالنّقد للحكومة الفرنسيّة حتى لا تمنع المنار من الدّخول للجزائر، لأنَّها بالنّسبة للجزائريّين كالماء والهواء إذا انقطعت عاشوا منكوبين، وهنا يذكر صاحبها "رشيد رضا" أنّ الإمام الأزهري ترجَّاه علماء الجزائر أن يُبَلِغه بأن لا يذكر فرنسا بما يسوئها في مجلّته لِئلا تمنع تسرُّبها إليهم، وقالوا له: "إنَّنا نعتبرها بمثابة مدد الحياة لنا، فإن انقطعت المنار انقطعت الحياة عنا"[29]، ويفترض "سعد الله" أنّ ذلك قد يكون بإيعاز من السّلطات الفرنسيّة لأنّها هي المستفيدة من سكوت المجلّة عن فضائعها في الجزائر[30]. ومهما يكن من أمر فإنّ "رشيد رضا" لخَّص الأفكار التي بثها "عبده" لجلسائه من الجزائريّين في ثلاث نقاط وهي: الجدّ في تحضير العلوم الدّينيّة والدّنيويّة، والحث على العمل وعمران البلاد، وأخيراً عدم الاشتغال بالسّياسة لكي تمكّنهم الحكومة الفرنسيّة من تحقيق الغرضين الأوّليين[31]، وعطفاً على ذلك يبدو أنَّ الشّيخ اختار سبل الإصلاح المثمر، حين رأى أنّه من المستحسن مهادنه فرنسا كي لا تُضيق عنهم سبل الاصلاح والنّهضة، ومن زاويّة أخرى ليس غريبا أن يكون قد وقع رهينة مغالطّات دُهاة المخابرات الفرنسيّة، ومصالح الشّؤون الأهليّة، ومنهم المسيو "لوساني"[32] الذي أرسلته فرنسا لتتبعه وكتابة التّقارير اليوميّة عن تحركاته ونشاطاته[33]. ولقد ظلّ الجدل قائماً حول مدلول نصيحة "عبده" للجزائريّين، وبشأن هذه القلاقل أوردت جريدة المنار الجزائريّة[34] لـ"محمود بوزوزو"[35] مقالاً في 1953م تحت عنوان (محمّد عبده والشّمال الافريقي) وذلك بعد خمسين عاماً من زيارته للجزائر، عاتبت فيه الشّيخ المصري وتساءلت عن السّر وراء وصيَّته بمسالمة الحكومة الفرنسيّة والابتعاد عن السّياسة[36].

يبدو أنّ هذه المسألة قد أثارت حفيظة الكثير من المؤرّخين الجزائريّين ومنهم "قنانش" الذي صرَّح منفعلاً: "كل هذا لم يؤثّر في هذا الشّعب المقاوم (التّعسف الاستعماري) ولم يرضخ للقوة..حتى جاءه زعيم شرقي (عبده)، كان ينتظره (الجزائريّون) ليبعث فيه روح المقاومة من جديد، ويهديه طريق الحرّيّة والخلاص فجاءه بصفة مستعمر يدعوهم إلى المسالمة، وترك الاشتغال بالسّياسة، وكأنّه شعب لا يستحق

الحياة"، وأضاف متّهما مفتي الدّيار المصريّة بأن توجهاته تصبُّ في خطّة الحكومة الفرنسيّة[37].

ومن جهته يذكر الباحث "ابن العقون" أنّ الجزائريّين لم يكونوا مسرورين بزيارته، بسبب ما أشيع عنه بطريقة أو بأخرى على أنّه ميَّال لفرنسا وأنَّه يكره السّياسة حتى أنَّ الوالي العام "ليطو" صرَّح أمام البرلمان الفرنسي قائلاً: "إنَّ "عبده" عند زيارته للجزائر أعطى فتوى لفرنسا بأنَّها لا تُعتبر كافرة، بل هي من أهل الكتاب ويجوز للجزائريّين قبول حكمها"[38]، لكن "رشيد رضا" سبق وأن بيَّن بأَّن أستاذه قد آنس من الحكومة الفرنسيّة الميل إلى المعاملة الحسنة ومسالمة الأهالي[39].

الظّاهر أنَّ تلميذ "الافغاني" حاول أن ينشر السّلام ظنّاً منه أنّ فرنسا قد غيَّرت سياستها الاستعماريّة اتِّجاه الجزائريّين، فقد حاول أن يدعِّم هذا التّطور، ويسعى إلى تشجيع مساعيها للقيام بمجموعة من الإصلاحات لصالحهم، لكن يبدو أنّه كان يجهل ممارسات وبطش الفرنسيين، ومعاناة المسلمين من المحاكم الرّادعة لـ"جونار" 1902م، ومن التّضييق على ممارسة شعائرهم الدّينيّة، ومن قوانين تمنع الحج عليهم[40].

وها هو "علي مراد" يحاول أن ينصفه حين أوضح بأنّ هذا الموقف لا يعني بأنَّ "عبده" كان يثق في المستعمِر، لأنّ خبرته السّابقة خاصّة بعد الثّورة العُرابيّة جعلته يتفادى العنفوان والثّورة، ويفضل المقاومة السّلميّة، فبقي مؤمناً بأنّ التّعليم هو الطّريقة الفعَّالة لتطوير الأذهان[41].

ومن المتّفق عليه أنَّ سفريّة "محمّد عبده" إلى مدينة الجزائر دامت حسب التّقرير الذي كتبه "لوسياني" والمؤرّخ في 04 سبتمبر 1903م باسم الحكومة العامّة عشرة أيّام، من يوم حلوله (الخميس 27 أوت إلى يوم الأحد 06 سبتمبر 1903م) وهو تاريخ مغادرته العاصمة متوجها بواسطة القطار صوب مدينة قسنطينة[42]، والتي مكث بها ثلاثة أيّام أين التّقى ببعض مشايخها وطلاَّبها كـ "ابن الموهوب"، ووجَّه بها نقداً لاذعاً للطرقيّة، ورأى بأنَّ التّكوين الدّيني الصّحيح بمثابة القاعدة الصّلبة التي يتوقّف عليها الإصلاح، كما أظهر بعض الاستياء من التّوجهات السّياسيّة للشُّبان الجزائريّين[43]، وبعد ثلاثة أيّام بها تركها وتوجه منها صوب تونس[44].

5. نتائج وثمرات الزّيارة...الدّفع بالنّهضة الجزائريّة إلى الأمام: ومهما يكن من أمر فإنَّه من المنصف القول بأنَّ زيارة "عبده" للعاصمة صائفة 1903م تعدُّ أهم زيارة مشرقيّة للجزائر إبان الحقبة الاستعماريّة، إذ رغم قصرها تركت أثرها الواسع في نفوس الجزائريّين، ويظهر ذلك من خلال تهاطل الزّوار عليه، كما أحدثت صدى كبيرًا كونها عمَّقت الإصلاح بصورة مباشرة في نفوس المثقَّفين الذين راحوا يستنبطون البعد الحقيقي للأخذ بفكرة النّهضة، وقد كان ذلك عائداً إلى شعورهم بالعزلة وبعدهم عن المؤثّرات الثّقافيّة الجديدة[45]، كما أعلن عدد منهم تبعيتهم للفكر والحزب العبدوي فعلى المدى القريب نشط هؤلاء على السّاحة، وقد أثنى عليهم الإمام بعد رجوعه إلى بلاده، وقال بأنّه رأى روحاً جديدة تسري في العلماء، وبأنّه يرجو للبلاد الجزائريّة نهضة إسلاميّة قريبة[46]، وحسب جريدة "لوفيقارو الفرنسيّة" فإنّ "عبده" قد ارتاح كذلك للإقبال الكبير للأهالي على التّعليم المسجدي[47]. ويذكر "دبوز" بأنَّ "ابن الخوجة" كان من أبرز ملازمي الإمام عند زيارته للعاصمة، وقد نال اعجابه كثيرا به فأثنى عليه كما أورده "رشيد رضا" في (تاريخ الأستاذ الإمام) بقوله: ".. ومن خيار علماء الجزائر الشّيخ محمّد بن مصطفى ابن الخوجة صاحب المصنفات"[48].

ولا ريب أنّ أفكار وآراء "عبده" أصبحت مرتكزاً لأئمة الجزائر في الوعظ والتّفسير، وفي تدريس العقائد الإسلاميّة، فكان اسمه يذكر في الخطبة الواحدة، وفي الدّرس الواحد مراراً وتكراراً، فعرفته العامّة، وعرفت منهجه في النّهضة والإصلاح، وكان إذا استُدِل بقول له تقَبلته الجماهير لثقتها به وإعجابها بمذهبه، حتى أنَّ الشّيخ "ابن الخوجة" واصل تدريس تفسير (سورة العصر) في صورتها النّهائيّة كما أوردتها مجلّة "المنار" في جامع سفير وغيره من مساجد مدينة الجزائر[49].

ومن ثمرات الزّيارة أيضا تكوين قاعدة للتغيير الفكري، وهو ما أفرزته الرّسالة التي أرسلها "عبده" إلى "ابن سماية" والتي توضح إعجاب الأوّل بالثّاني[50] قائلاً له فيها: "حضرة الأستاذ الفاضل الشّيخ عبد الحليم بن سماية لا يزال يؤنسني مثال علمك وفضلك، ويعجبني رفيق رقيق من كمالك ونبلك، وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشف لي من نفسك، ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما آتاك الله من نعمة العقل والأدب، ولعرفت أنَّك ستكون إمام قومك تهديهم -إن شاالله- سبيل الرّشاد، وتبصرهم بما يوفر عليهم الحظين: حظ المعاش، وحظ المعاد، وهذا هو أملي الذي أسأل الله

تحقيقه، فخذ من الوسائل ما يبلغك فضل الله غاية ما يرمي اليه استعدادك"[51]. كما قدَّم "ابن سماية" قصيدة شعريّة تتألف من خمسين بيتاً، مدح فيها "عبده"[52]، وجاء في مطلعها[53]:

أنـت شـمس تنيـر علـى المـدى ❁ أتـى نورهـا مـن غيـر أن تطلعـا
أديـر بـذكرك الـذي منك قـد مضى ❁ فاشـرب كأسـا بالصّـفاء مشعشـعا
يـذكر فيـك المجـد والعلـم والتّقـى ❁ فـأنظر مـن عليـاك عرشـا مرفعـا
وتلـوي إلى تلـك المجـالسّ فكرتـي ❁ فتتـرك قلبـي بالخيـال ممتعـا
محافل كان العلم فيها مجالسّـي ❁ أسـامر بـدرا بـالجلال تقنعـا

وليس بدعا أن تمتد الإشعاعات الإصلاحيّة التي بثها الشّيخ المصري فتخترق الأسوار الحديديّة التي كانت تحيط بالجزائر لتخلق تباشير النّهضة الحديثة، وفي هذا السّياق يشير "علي مراد" إلى إصدار "محمّد السّعيد ابن زكري" كتابا صغيرا تحت عنوان (أوضح الدّلائل على وجوب إصلاح الزّوايا ببلاد القبائل) سنة 1904م، وهذا إن دلَّ على شيء فإنّما يدلُّ على الذّهنيّة الجديدة التي تشكَّلت في البيئة المستعمرة ويعكس إحدى أفكار حركة الإصلاح السّنيّة المناديّة بضرورة إصلاح النّظام المرابطي[54].

أمَّا المهتمّون بتاريخ الصّحافة فيرون أنّ زيارته إلى الجزائر قد أتت أُكلها، وبلغت بعض مقاصدها، وأضافت لبنة في صرح الحركة الإصلاحيّة بإعطاء انطلاقة حقيقيّة لحركيّة ونشاط الحركة الصّحفيّة الجزائريّة، مع إطلاق العنان لها، ويشير هنا "سعد الله" إلى تبني بعض الجرائد أفكار الشّيخ الأزهري، وكذا نشر أخباره ومتابعتها[55] فصارت الجرائد الصّادرة تعمل في إطار مبادئه باتِّقاء شرّ الرّقابة الاستعماريّة عليها وها هي جريدة "ذو الفقار" الصّادرة 1913م جعلت من "عبده" مديراً روحياً لها، رغم أنّه كان قد قضى نحبه منذ ثماني سنوات وقتئذ، وأعلنت في واجهة عددها الأوّل عن خطّها الافتتاحي من خلال العبارة التّاليّة: (ذو الفقار جريدة إصلاحيّة عبدويّة)[56]، أي أنّها حسب "محمّد ناصر" لا تخرج عن الطّريقة العبدويّة بالابتعاد عن السّياسة لأنّها ما دخلت في شيء إلاّ وأفسدته"[57]، كما خطَّ صاحبها "راسم" صورة لـ"عبده" على غلاف عددها الثّالثّ[58]. وفي المقابل حصلت جريدة "المغرب"-صدرت أيّام قليلة قبل مجيئه-على تقريظ وتشجيع من الشّيخ المصري، والذي علَّق عليها بقوله: "وهي على قُبح ورقها، وسوء طبعها

نافعة للجزائريين المحرومين من الصّحف الوطنيّة العربيّة.."[59]، وبعد 1903م عجَّت مدينة الجزائر بعدة عناوين صحفيّة، ورغم كونها محتشمة، وذات سحب محدود، إلاّ أنّها طرحت موضوعات في مسائل إصلاحيّة مهمّة.

ظهرت الحركة الإصلاحيّة التي ألهمها الشّيخ الأزهري للجزائريّين في الوقت المناسب، فحسب "علي مراد" جاءت: "كفضل رباني بالنّسبة للاسلام المعاصر وكتتويج لتقليد المجدّدين، كما كان لها بعد معنوي هائل حيث أخرجت العلماء والمثقفين العبدويين من العزلة والانكفاء على الذّات، وأحدثت في نفوسهم انطباعاً راسخاً استمر طويلا في ذاكرتهم ومخيالاتهم"[60]. كما أوقدت شعلة الإصلاح انطلاقاً من الرّعيل الإصلاحي الأوّل إلى ميلاد جمعيّة العلماء المسلمين، والتي اقتبست الكثير من الفكر العبدوي في نهجها ومنهجها، وهو ما كشف عنه مؤسّسها "ابن باديس" بلغة صريحة في إحدى مقالاته الموسومة بـ"عبداويّون ثم وهابيّون" على صفحات مجلّة السّنة[61]، ويعزز رأيه الشّيخ "الابراهيمي" بقوله: "إنَّ أوّل صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح، هي صيحة إمام المصلحين الشّيخ محمّد عبده، (الذي) جاهر بدعوة المسلمين في المشرق والمغرب إلى الرّجوع للدين الصّحيح، والتّماس الهداية من القرآن الكريم والسّنة، وأنَّه لا فلاح في دنياهم وأخراهم إلاّ بالعودة إلى تلك المنابع الصّافيّة .."[62]، وفي موضع آخر أضاف عنه كاتباً: "كان الأستاذ الإمام أعجوبة الأعاجيب في الألمعيّة، وبعد النّظر، وعمق التّفكير، ووحدة الخاطر، واستنارة البصيرة، وسرعة الاستنتاج، حكيم بكلّ ما تؤديه هذه الكلمة من معنى منقطع النّظير في صدق الإلهام، وسداد الفهم، وصدق العزيمة"[63].

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الزّيارة التّاريخيّة قد أعادت أواصر التّواصل بين الجزائريين والمشارقة، ووطَّدت العلاقات الفكريّة والصّلات الحضاريّة بين المشرق والمغرب في هذه الفترة، كما رسمت دعائم الحركة السّلفيّة في شمال إفريقيا، وأضفت الطّابع الرّسمي لبلوغ أفكار الجامعة الإسلاميّة للقطر الجزائري، كما خلقت نوعا من الدّيناميكيّة والحراك في المنطقة، خاصّة وأنَّها كانت في حاجة لمكسب معنوي تشجيعي فتقوى بها الحزب العبدوي الإصلاحي في مواجهته للتيار الطّرقي من جهة والتيار التّغريبي من جهة أخرى[64]، وقد أصيب أتباعه بحسرة كبيرة بعد تلقيهم نبأ وفاة الإمام "عبده" سنة 1905م، فكتبوا المراثي شعراً ونثراً، تولَّت المنار -التي لم تنتهِ إشراقاتها على الجزائريين بوفاته-نشرها عبر صفحاتها[65].

وفي المقابل نسجل آراء أخرى مغايرة، وأصداء متباينة تنظر لهذه الزّيارة كحدث عابر، بل أنّ هناك من يقزّمها ويشكّك في خلفياتها ونتائجها، فها هو "علي مراد" ورغم كل ما قاله عنها يذكر بأنّها مرَّت دون أن تشكِّل حدثا كبيرا رغم مكانة الرّجل كونه مفتي الدّيار المصريّة، وذلك لعدم إقامة أي تظاهرات ثقافيّة لائقة بمستوى الحدث[66]، ويدعِّم رأيه "ابن العقُّون" الذي صرَّح بأنَّها لم تترك أثرا كبيراً لكونها كانت قصيرة الأمد، ولأنّه تكلَّم أمام جمهور قليل[67]، حتى أنَّ جريدة "المبشر" لم تجعل لها مساحة في صفحاتها أيّام الزّيارة على حد تعبير "دبوز"[68]. وحاول "أندري جوليان" تقزيم ثمرات هذه السّفريّة ونظر إليها ببرودة حين قال: "في 1904م لم يثر مرور الشّيخ محمّد عبده انتباها خاصًّا، وقد تحدث المفتي أمام جمع صغير من المستمعين بمسجد متواضع من حي بلكور، ولم يخطر ببال أحد على ما يظهر.."، ويستثني قسنطينة من تفتح اشراقات النّهضة بعد زيارته العابرة إليها[69]، ولعلّ نظرة "جوليان" الشّاذة كان يقصد بها قلّة التّأثير على الجماهير، لكن المعروف أنَّ الإمام المصري التّقى بالنّخبة التي تكفلت بنهضة العامّة لاحقاً.

6. خلاصة: ومهما قيل عن زيارة "عبده" لمدينة الجزائر صيف 1903م دعنا نقول إن كانت محبوسة الخطوات، معدودة الأنفاس من طرف السّلطات الاستعماريّة ولم تعطه حكومة باريس تأشيرة الدّخول إليها إلاَّ بعد أخذ وردّ، وتعهُّد بخطَّة وبرنامج عمل الرّحلة، وبنوع وعدد الشّخصيّات التي سيلتقيها، وعلى العموم اتسمت بالطّابع الخاص فكانت شبه سريّة، ذلك أنّها لم تلق العناية من طرف الصّحافة رغم شهرة الرّجل، حتَّى أنَّ كتاب (تاريخ الأستاذ) في أجزائه الثّلاثة لم يشر إطلاقا إلى زيَّارته لقسنطينة، وتضمَّن سطوراً قليلة عن العشرة أيّام التي أقامها في مدينة الجزائر، عكس زيارته لتونس والتي لقيت اهتماما منقطع النّظير، وقد يعود ذلك لاختلاف الوضع السّياسي بين البلدين، ولطول فترة إقامته فيها عكس الجزائر، ولشهرة المفتي في الوسط التّونسي بعد زيارته الأولى لها 1885م. وفي الأخير إنّنا لا نجافي الحقيقة إذا أدلينا القول أنّه يجب ألا تعطى لهذه الزّيارة أكثر ممّا تستحق فمدَّتها قصيرة والظّروف كانت حرجة، والجواسيس في كلِّ مكان رغم أنَّ "رشيد رضا" ذكر بأنّها حقَّقت أهدافها بإرشاد المسلمين لحقيقة دينهم، ومن ذلك يذهب كثيرون إلى جعلها معلماً في التّأريخ لبداية الحركة الإصلاحيّة في الجزائر.

7. قائمة المراجع:

المؤلّفات:

أوّلا باللغة العربيّة:

1. أبو القاسم سعد الله، بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 2003م.

2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

3. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، الجزائر، ط2، 1986م.

4. أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي، ج1، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر، 1978م.

5. أنور الجندي، عبد العزيز الثّعالبي رائد الحريّة والنّهضة الإسلاميّة (1879-1944م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1984م.

6. الزّبير سيف الإسلام، تاريخ الصّحافة في الجزائر، ج4، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر 1988م.

7. شارل أندري جوليان، إفريقيا الشّماليّة تسير، تر: سليم المنجي، الدّار التّونسيّة للنشر، ط2 تونس، 1976م.

8. عباس محمود العقاد، محمّد عبده، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، دون تاريخ.

9. عبد الرّحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج5، دار الأمّة، الجزائر.

10. عبد الرّحمن بن العقون، الكفاح القومي والسّياسي من خلال مذكرات معاصر (1920-1936م)، ج1، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م.

11. علي مرّاد، الحركة الإصلاحيّة الإسلاميّة في الجزائر بحث في التّاريخ الدّيني والاجتماعي (1925-1940م)، تر: محمّد يحياتين، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.

12. محمّد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التّحرر الوطني، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2019م.

13. محمّد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعيّة العلماء المسلمين، دار الكتب، الجزائر 1982م.

14. محمّد الهادي الحسني، نجوم ورجوم، الشّروق للاعلام والنّشر، الجزائر، ط1، 2012م.

15. محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، دار الفضيلة، مصر، ط2، 2006م.

16. محمّد عبده، مذكرات الإمام محمّد عبده، تح: طاهر الطّناحي، دار الهلال، د.ت.

17. محمّد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، عالم للمعرفة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2013م.

18. محمّد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1979م.

19. محمّد قنانش، المواقف السّياسيّة بين الإصلاح والوطنيّة، المكتبة الشّعبيّة، الجزائر، دون تاريخ.

20. محمّد ناصر، الصّحف العربيّة من 1847م إلى 1954م، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط3، 2007م.

ثانياً: باللغة الفرنسيّة:

1. Archive d'Outre-Mer (Aix en Provence), Série 9 H 4.

2. Charles Robert Ageron, histoire de l'Algérie contemporaine T2 1er édition, presse universitaire de France, 1979, p181.

3. Charles Robert Ageron, Les Algeriens Musulmans et la FranceT2 Presses Universitaires de France, 1968.

المقالات:

أوّلاً: باللغة العربيّة:

1. أبو الأمين، "محمّد عبده والشّمال الافريقي"، المنار الجزائريّة، ع43، 5جوان 1953م.

2. أحمد صاري، "الجديد عن زيارة محمّد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، ع2، جامعة قسنطينة، 2003م.

3. امحمّد دراوي-عبد القادر دوحة، "صدى زيارة الشّيخ محمّد عبده للجزائر سنة 1903م من خلال الأرشيف الفرنسي"، مجلّة دراسات وأبحاث، مج: 12، ع1، جامعة الجلفة 2020م.

4. عبد الحميد بن باديس، "عبداويون ثم وهابيون"، مجلّة السّنة، السّنة الأولى، ع3، 24 أفريل 1933م.

5. عمر راسم، جريدة ذو الفقار، ع3، 28 جوان 1914م.

6. محمّد برج، "الجزائر في كتابات محمّد عبده"، الأصالة، ع52، الجزائر، مارس1977م.

7. محمّد رشيد رضا، مجلّة المنار، 4 أفريل 1903م، ص ص79-80.

8. مصطفى كريم، "حول نتائج زيارة محمّد عبده لتونس"، المجلّة التّاريخيّة المغاربيّة، ع3 جانفي 1974م.

9. منير صغيري، "الفكر الإصلاحي التّجديدي للشيخ محمّد عبده وأثره على الحركة الإصلاحيّة في الجزائر (1903-1931م)"، مجلّة المعارف للبحوث والدّراسات التّاريخيّة ع6، جامعة الوادي، 2012م.

10. المهدي البوعبدلي، "جوانب مجهولة من أثار زيارة محمّد عبده للجزائر"، الأصالة ع79-80، الجزائر، 1978م.

11. هزرشي بن جلول، "التّواصل الجزائري المصري1903-1954م"، مجلّة الدّراسات التّاريخيّة، مج:20، ع1، جامعة الجزائر2، 2019م.

ثانياً: باللغة الفرنسيّة:

1. Le Figaro, 16 sep 1903, Annee 49, 3 eme Serie, N° 259.

2. Ali Merad, «L'enseignement Politique de Mohamed Abdou Aux Algériens1903», In : Revue Orient, N° 28, 1963.

3. Rachid Ben Cheneb, «Le séjour de Mohamad Abdou en Algérie 1903», in : Studia Islamica, N°53, 1981.

الرّسائل الجامعيّة:

1. امحمّد دراوي، الجزائر والجامعة الإسلاميّة 1876-1924م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ المعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر 2، السّنة الجامعيّة: 2007-2008م.

2. طاهر عمري، النّخبة الوطنيّة الجزائريّة ومشروع المجتمع (1900م-1940م)، رسالة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة قسنطينة، السّنة الجامعيّة: 2003-2004م.

3. منير صغيري، آراء أقطاب الجامعة الإسلاميّة وصداها في بلدان المغرب العربي، مذكرة الدّكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة تلمسان، السّنة الجامعيّة: 2015-2016م.

8. ملاحق:

الشّيخ عبد الحليم ابن سماية وإلى جانبة الشّيخ محمّد عبده أثناء زيارته للعاصمة الجزائريّة 1903م[1].

9. هوامش:

1 محمّد عبده: ولد بقريّة محلة نصر 1849م، تلقى تعليما أزهريا، وتحصل منه على شهادة العالميّة، واشتغل في التّربيّة والتّعليم، تغير مجرى حياته عندما التقى بـ "جمال الدّين الأفغاني" 1871م وتتلمذ على يديه ولازم حلقات دروسه، فأصبح أقرب حلفائه في تيار الجامعة الإسلاميّة، كان محرّرا لجريدة "الوقائع المصريّة"، اشترك في ثورة عرابي 1882م، وفي أعقاب فشلها نفي من بلاده، فأقام سنة واحدة فقط في لبنان، ثم التحق بأستاذه بباريس وانخرط في العمل السّياسي كما عين رئيسا لتحرير مجلّة العروة الوثقى، عاد إلى مصر وعين قاضيًا بالمحاكم الأهليّة، وعضوا بمجلس إدارة الأزهر، تولى منصب مفتي الدّيار المصريّة منذ 1899م، ثم عضوا بمجلس الشّورى، وتعتبر أعماله الكاملة "خمس مجلدات" واحدة من أبرز ثمرات الفكر الإصلاحي، ومن أهم كتبه كذلك: الإسلام دين العلم والمدنيّة دروس من القرآن الكريم تفسير القرآن الكريم، رسالة التّوحيد، كان من أنصار الإصلاح التّدريجي حيث مال للإصلاح الدّيني والاجتماعي، توفي بمصر 1905م.

للاستزادة: أنظر: محمّد عبده، مذكرات الإمام محمّد عبده، تح: طاهر الطّناحي، دار الهلال، دون تاريخ، ص ص5-6. وكذلك: عبّاس محمود العقاد، محمّد عبده، منشورات المكتبة العصريّة، بيروت دون تاريخ، ص ص220-221.

2 أنور الجندي، عبد العزيز الثّعالبي رائد الحريّة والنّهضة الإسلاميّة (1879-1944م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1984م، ص22.

3 منير صغيري، "الفكر الإصلاحي التّجديدي للشيخ محمّد عبده وأثره على الحركة الإصلاحيّة في الجزائر (1903-1931م)"، مجلّة المعارف للبحوث والدّراسات التّاريخيّة ع6، جامعة الوادي، 2012م، ص280.

4 أنور الجندي، المرجع السّابق، ص ص21-22.

5 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م ص ص583-584.

6 Ali Merad, «L'enseignement Politique de Mohamed Abdou Aux Algériens1903», In : Revue Orient, N° 28, 1963, pp90-91.

7 محمّد رشيد رضا، مجلّة المنار، 4 أفريل 1903م، ص ص79-80.

8 أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص ص584-585.

9 محمّد برج، "الجزائر في كتابات محمّد عبده"، الأصالة، ع52، الجزائر، مارس1977م ص21.

10 محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، دار الفضيلة، مصر، ط2، 2006م ص870.

11 Le Figaro, 16 sep 1903, Annee 49, 3 eme Serie, N° 259.

12 Ali Merad, op.cit, p90.

13 منير صغيري، آراء أقطاب الجامعة الإسلاميّة وصداها في بلدان المغرب العربي، مذكرة الدّكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة تلمسان، السّنة الجامعيّة: 2015-2016م، ص147.

14 أبو القاسم، سعد الله، المرجع السّابق، ص ص588-589.

15 أحمد صاري، "الجديد عن زيارة محمّد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، ع2، جامعة قسنطينة، 2003م، ص9.

16 Charles Robert Ageron, Les Algeriens Musulmans et la France, T2, Presses Universitaires de France, 1968, pp916-917.

17 أحمد صاري، المقال السّابق، ص ص10-11.

18 أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص590.

19 أحمد صاري، المقال السّابق، ص16.

20 سعد الله، بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 2003م، ص ص115-116.

21 منير صغيري، "الفكر الإصلاحي التّجديدي للشيخ محمّد عبده.."، المقال السّابق ص281.

22 امحمّد دراوي-عبد القادر دوحة، "صدى زيارة الشّيخ محمّد عبده للجزائر سنة 1903م من خلال الأرشيف الفرنسي"، مجلّة دراسات وأبحاث، مج: 12، ع1، جامعة الجلفة، 2020م ص ص277-278.

23 سعد الله، بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، المرجع السّابق، ص116.

24 Archive d'Outre-Mer (Aix en Provence), Série 9 H 4.

25 Rachid Ben Cheneb, «Le séjour de Mohamad Abdou en Algérie 1903», in : Studia Islamica, N°53, 1981, p122 et suivant.

26 أحمد صاري، المقال السّابق، ص ص16-18.

27 أبو القاسم سعد الله، بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، المرجع السّابق، ص116.

28 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج5، المرجع السّابق، ص ص591-592.

29 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، الجزائر، ط2، 1986م، ص347.

30 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج5، المرجع السّابق، ص587.

31 محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج3، المصدر السّابق، ص297.

32 دومنيك لوسياني: (1851-1919م) من مواليد كورسيكا، عمل في قسنطينة، ثم بالإدارة المركزيّة بالحكومة العامّة، عُين مديرا لديوان الحاكم "ريفوال" 1899م، قبل أن يصبح أوّل مدير للشؤون الأهليّة 1901م. امحمّد دراوي-عبد القادر دوحة، المقال السّابق، ص ص284-285.

33 امحمّد دراوي، الجزائر والجامعة الإسلاميّة 1876-1924م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ المعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر 2، السّنة الجامعيّة: 2007-2008م، ص79.

34 المنار الجزائريّة: وهي جريدة سياسيّة ثقافيّة دينيّة حرة، عايشت الأحداث العامّة من تاريخ المغرب العربي، صدر منها العدد الأوّل 29 مارس 1951م، والأخير 1جانفي 1954م. أنظر للمزيد: محمّد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التّحرر الوطني، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2019م.

35 محمود بوزوزو: هو مثقف جزائري، جمع بين الفكر الاصلاحي والعمل الوطني بقلمه ولسانه، أسس جريدة المنار 1951م، وكان مرشدا عاما في الكشافة الإسلاميّة، على يده أعلن الفيلسوف الفرنسي "روجي غارودي" اسلامه. للمزيد أنظر: محمّد أرزقي فراد، المرجع نفسه.

36 أبو الأمين، "محمّد عبده والشّمال الافريقي"، المنار الجزائريّة، ع43، 5جوان 1953م ص3.

37 محمّد قنانش، المواقف السّياسيّة بين الإصلاح والوطنيّة، المكتبة الشّعبيّة، الجزائر، دون تاريخ، ص59.

38 عبد الرّحمن ابن العقون، الكفاح القومي والسّياسي من خلال مذكرات معاصر (1920-1936م)، ج1، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م، ص57.

39 محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، المصدر السّابق، ص873.

40 طاهر عمري، النّخبة الوطنيّة الجزائريّة ومشروع المجتمع (1900م-1940م)، رسالة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، قسنطينة، السّنة الجامعيّة: 2003-2004م، ص131.

41 Ageron, histoire de l'Algérie contemporaine, T2, 1er édition, presse universitaire de France, 1979, p181.

42 Archive d'Outre-Mer (Aix en Provence), Série 9 H 4.

43 أحمد صاري، المقال السّابق، ص20.

44 عن زيارة "عبده" الثّانيّة لتونس 1903م أنظر: مصطفى كريم، "حول نتائج زيارة محمّد عبده لتونس"، المجلّة التّاريخيّة المغاربيّة، ع3، جانفي 1974م.

45 هزرشي بن جلول، "التّواصل الجزائري المصري1903-1954م"، مجلّة الدّراسات التّاريخيّة، مج:20، ع1، جامعة الجزائر2، 2019م، ص235

46محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، المصدر السّابق، ص875.

47 Le Figaro, 16 sep 1903, Annee 49, 3 eme Serie, N° 259.

48 محمّد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، عالم للمعرفة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2013م، ص ص 128-129.

49 أبو القاسم سعد الله، بحوث في التّاريخ العربي الإسلامي، المرجع السّابق، ص117.

50 محمّد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمّد عبده، ج1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، 1979م، ص706.

51 محمّد الهادي الحسني، نجوم ورجوم، الشّروق للاعلام والنّشر، الجزائر، ط1، 2012م ص180.

52 المهدي البوعبدلي، "جوانب مجهولة من أثار زيارة محمّد عبده للجزائر"، الأصالة، ع79-80، الجزائر، 1978م، ص76.

53 محمّد علي دبوز، المرجع السّابق، ص125.

54 علي مرّاد، الحركة الإصلاحيّة الإسلاميّة في الجزائر بحث في التّاريخ الدّيني والاجتماعي (1925-1940م)، تر: محمّد يحياتين، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص38.

55 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج5، المرجع السّابق، ص 592.

56 محمّد الهادي الحسني، المرجع السّابق، ص176.

57 محمّد ناصر، الصّحف العربيّة من 1847م إلى 1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط3، 2007م، ص79.

58 عمر راسم، جريدة ذو الفقار، ع3، 28 جوان 1914م، ص8.

59 الزّبير سيف الإسلام، تاريخ الصّحافة في الجزائر، ج4، م و لك، الجزائر، 1988م ص160.

60 علي مرّاد، المرجع السّابق، ص 36 وما يليها.

61 عبد الحميد بن باديس، "عبداويون ثم وهابيون"، مجلّة السّنة، السّنة الأولى، ع3، 24 أفريل 1933م، ص1.

62 أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي، ج1، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر، 1978م، ص113.

63 محمّد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعيّة العلماء المسلمين، دار الكتب، الجزائر 1982م، ص34.

64 امحمّد دراوي، الجزائر والجامعة الاسلاميّة، المرجع السّابق، ص81.

65 محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج3، المصدر السّابق، ص297-298.

66 Ali Merad, op.cit, p 94.

67 عبد الرّحمن بن العقون، المرجع السّابق، ص57.

68 محمّد علي دبوز، المرجع السّابق، ص108.

69 شارل أندري جوليان، إفريقيا الشّماليّة تسير، تر: المنجي سليم، الدّار التّونسيّة للنشر تونس، ط2، 1976م، ص125.